الحديث الثاني والثلاثون

عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: (لا ضرر ولا ضرار) .
حديث حسن رواه ابن ماجه والدار قطني وغيرهما مسندًا.
ورواه مالك في الموطأ مرسلًا عن عمر بن يحيى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم، فأسقط أبا سعيد وله طرق يقوي بعضها بعضًا.

القواعد الكبرى في الإسلام

هذا الحديث من القواعد الخمس الكبرى التي يقوم عليها الفقه الإسلامي، ألا وهي:-

1- **القاعدة الأولى:** إنما الأعمال بالنيات.
2- **القاعدة الثانية:** أن اليقين لا يزول بالشك.
3- **القاعدة الثالثة:** لا ضرر ولا ضرار.
4- **القاعدة الرابعة:** العادة محكمة.
5- **القاعدة الخامسة:** المشقة تجلب التيسير.

فهذه القواعد الخمس عامة مسائل الفقه الإسلامي تعود إليها.

ما تنهى عنه وما تبيحه الشريعة

• تنهي الشريعة عن ما كان ضرره محضًا أو غالبًا.
• تُبيح الشريعة ما كان نفعه محضًا أو ما كان نفعه أكبر من ضرره.

الضرورات تُبيح المحظورات:

نجد في بعض الأحيان أن الشرع أباح محظور عند الضرورة على الرغم من الضرر.

من صور الضرر المنهي عنه

• **النهي عن النجش:** وهو وضع السلعة في مزاد لرفع سعرها وهو لا يريد شرائها بل يخدع غيره ليزيد من ثمنها فهذا يضر الناس.
• **الغبن الفاحش:** وهو شخص يخدع مشترٍ جاهل لا يعرف ثمن السلعة فيقول له سعرًا كبيرًا جدًا فيوافق عليه، وهذا لأن فيه ضرر وخداع.
• **الضرر في الوصية:** يأتي شخص يوصي بماله كله لأعمال الخير لِكَي يضر الورثة، فهذا لا تجيزه الشريعة ولا تُمضيه إنما تُمضي وصيته الثلث فقط دون الباقي.
• **ضرر المرأة في الطلاق:** زوجها لا يريد أن يطلقها لِكَي تتنازل عن حقوقها فيؤذيها ويضرها إلى أن تطلب هي الطلاق فيحولها إلى الخلع ويطلب منها التنازل عن حقوقها.
• شخص يريد أن يؤذي امرأة فيطلقها ويردها قبل نهاية العدة وبعد فتره يطلقها ثم يردها قبل نهاية العدة لغرض الضرر.
• رفع قضية على المَدِين إذا كان مُعسر والشريعة تأمر أن تصبر عليه إذا كان مُعسرًا بالفعل.

الشريعة ترفع الحرج عند الضرر

من محاسن الشريعة أن الشريعة ترفع الحرج عند الضرر، فنجد أن المسافر الشريعة تُبيح له الفطر في نهار رمضان لأن الصيام قد يضره أو يعطل مصالحه، وغيرها من التشريعات.

فنجد دائمًا أن الشريعة ترفع الحرج وأن المشقة تجلب التيسير.

الضرورة تُقدر بقدرها

تحديد الضرورة متى يكون الإنسان مضطر، يجب على الإنسان أن يُقدر هذا ويستفيد من القاعدة بقدر الضرر.

مثال: إنسان سيهلك إذا لم يأكل الميتة، هنا الشريعة لا تبيحها لِكَي يأكل ويشبع ويتلذذ بها وإنما يأكل بقدر ما يُقيم صُلبه به فقط.

الفرق بين الضرر والضرار

الفرق بين الضرر والضرار:-
هناك أربعة أقوال في هذه المسألة:-

1- القول الأول:
• أنه لا يوجد فرق وأن الضرر هو الضرار وأن التكرار هنا من النبي كان على سبيل التأكيد.
• والأشهر عند أهل العلم أن هناك فرق بين الضرر والضرار.

2- القول الثاني:
فرق بين الضرر والضرار في القصد:
• فقيل **الضرر** هو ما كان بغير قصد
• **والضرار** هو ما كان بقصد.
• **في حال الضرر:** يلزم إزالة الضرر، يلزم الإنسان يعوض الشخص الذي تضرر.
• **في حالة الضرار:** ليس فقط نزيل الضرر بل نزيل الضرر ونعاقب الفاعل.

3- القول الثالث:
• أن شخص يضر من لا يضره، **«لا ضرر»** تعني لا تضر من لم يضرك.
• **والضرار:** قالوا الضرار أن يضر من ضره.

فهنا يأتي السؤال، من يضرني يجوز أن أضره أيضًا؟

مثال: شخص سب شخصًا فالشريعة تبيح أن يسبه بنفس اللفظ، والإثم على الأول
• **فالضرار:** هو أن الشخص يتجاوز في الرد.
• فأخذ الحق بقدر الضرر هذا لا بأس به وأن يكون أيضًا على وجه جائز.

4- القول الرابع:
• أن الضرر هو أن ما يفعله الإنسان فيه ضرر لكنه ينتفع به،
• والضرار: إنسان يفعل شيئا فيه ضرر ولا يعود عليه بنفع.

الضرر الأشد يُدفع بالضرر الأضعف

الشريعة تقوم على تغليب المصالح وتقليل المفاسد.

مثال: هناك اختياران فقط ولا يوجد ثالث والاختاران فيهما ضرر فهنا يختار الضرر الأقل ما دام أنه لا يوجد اختيار ثالث.

لذلك القاعدة الكُبرى الذي يقوم عليها الإسلام هي قاعدة المصالح والمفاسد وهي أن: (المصلحة الكبرى تقدم على المصلحة الصغرى عند التعارض وأن المفسدة الصغرى تقدم على المفسدة الكبرى عند التعارض).

وإذا نظرنا إلى حياتنا سنجد أننا نعمل بهذه القاعدة تلقائيًا.

الضرر يُزال

إذا وقع من إنسان ضرر تسبب في إتلاف شيء معين وجب عليه أن يُزيل هذا الضرر وأن يعوض من ضره أو أتلف له شيئا وهذا ليس فيه حرج.

– البعض يقول العوض حرام ولا تقبل العوض، نقول بالعكس الضرر يُزال سواء الضرر وقع بقصد أو بغير قصد ينبغى للإنسان أن يعوض الشخص الذي تسبب له بالضرر.
– لكن إذا تنازل الشخص الآخر من باب حسن الخلق فلا بأس لكن إذا ألزمه أن لا يقبل العوض أو العوض حرام فهذا خطأ والواجب الضرر يُزال.

الحديث الثالث والثلاثون

عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدعوَاهُمْ لادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَال قَومٍ وَدِمَاءهُمْ، وَلَكِنِ البَيِنَةُ عَلَى المُدَّعِي، وَاليَمِينُ عَلَى مَن أَنكَر"

حديث حسن رواه البيهقي هكذا بعضه في الصحيحين.

راوية البخارى ومسلم:- عن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول اللهﷺقال (لَوْ يُعْطَى الناسُ بِدَعْوَاهُمْ لادَّعَى ناس دماء رجال وأموالهم ولكن اليمين على المُدَّعى عليه).

الحديث أصل عظيم في قضايا التحاكم

فيه بيان كيف يتم التعامل عند المنازعة وعند الادعاء، من الذي عليه أن يأتي بالبينة؟، وله تطبيقات ومسائل لا حصر لها في كتب الفقه.

ما هي وظيفة القاضي

وظيفة القاضي: هي أن يحكم بما توفر لديه من أدلة ويحكم بما ظهر له من أدلة حسب القواعد والضوابط التي وضعها له الشرع حتى لو استطاع أحد الطرفين أن يخدعه, فالنبى ﷺ نفسه قال للصحابة أنه يحكم بما ظهر له

فهنا مسألتان:-

1- أن القاضي يجب عليه أن يحكم بما يرى وما ظهر له.
2- أن حكم القاضي لا يُحل حرامًا ولا يحرم حلالًا وإنما حكمه جاء باتباع.

المتهم بريء حتى تثبت إدانته

الأصل هو براءة المدعى عليه حتى يأتي المدعي ببينة ودليل واضح يقضى به القاضي, فلا ينبغي لنا أن نلوم المدعى عليه أو نطالبه بإثبات براءته, فبراءة الذمة هي الأصل, ولا يصح أن نطعن في مدعى عليه حتى يأتي المدعي بأدلة حتى أنه لا يلزمه أن يدافع عن نفسه فهو يكفيه اليمين ويكون بريئًا أمام الناس.

أنواع البينات

1- الكتابة: وتمضي وتختم بحيث تكون هذه الورقة بعد ذلك إثباتا للحقوق فإذا تم سداد الدين يطلب استرداد الورقة.

2- الإشهاد:

• فإذا كانت معاملة مالية يكفي فيها شهادة رجلين أو رجل وامرأتان,
• أما إذا كانت مسألة دماء«قتل» هنا يحتاج القاضي شهادة رجلين على الأقل ولا تُقبل شهادة النساء في مسائل الدماء صيانة لهن عن التعرض للمسائل التي بها دماء,
• أما مسائل الفروج«الزنا» يجب فيها أربعة شهود على الأقل يرون الفرج في الفرج.

هناك مسائل تُقبل فيها شهادة النساء فقط مثل الولادة والرضاعة والحيض والطهر.

ضرر تصديق الادعاءات

لو أن الادعاءات تُصدق بدون بينة لكان هناك فساد عظيم جدًا.

فيأتي شخص بدون دليل ويتهم غيره بغير وجه حق.

وهنا يتضح أنه إذا أُعطى الناس بدعواهم كانت ستكون مشكلة كبيرة جدًا ونتعلم كيف نتعامل عند وجود ادعاء.

• فالحديث يأمرنا أن الذي ادعى هو الذي يأتي بالبينة والمُدعى عليه لا يلزمه أي شيء إلا اليمين.
• فالمُدعي هو الذي يُهاجم وليس المُدعى عليه.
• فالمدعى عليه لا يجب عليه أن يثبت شيئا إلا اليمين فقط فإذا حلف اليمين بأنه بريء ولم يأتي المدعي ببينة يجب عقابه.

يجب عدم تصديق المُدعي إلا إذا أتى ببينة ولا يجوز سوء الظن بالمدعى عليه إلا أن يأتي المدعي ببينة.

كيفية التعامل مع المُدعي

من هو المُدعي: هو الذي إذا سكت انتهت المشكلة أو الخصومة.

إذا جاء مُدعي يبدأ القاضي به ويطلب منه أن يأتي ببينة, فإذا جاء ببينة واضحة كشهود أو ورقة مكتوبة أو شيء مختوم ونحو ذلك فإذا جاء بالبينة يحكم القاضي له.

فإذا لم يوجد بينة سينتقل القاضي للمدعى عليه ويسأله عن صحة كلام المُدعي, فإذا أقر كلام المدعي انتهت القضية, أما إذا أنكر وأقسم بالله سبحانه وتعالى تنتهي القضية ويرفض القاضي دعوى المُدعي.

إقامة البينات تمنع الخصومات

• ينبغي لنا في المعاملات أن يكون هناك بينات دائمًا حتى وإن كان التعامل مع الأخ أو الصديق
• فطلب البينة لا يعيب أحد الطرفين وهذا يمنع الخصومة بعد ذلك.
• فما أكثر الخصومات التي تحدث بين الناس بسبب التقصير في البينات.

القرائن يُعمل بها عند عدم وجود بينات

يجوز للقاضي أن يعمل بالقرائن ما لم تتوفر البينات.

القرائن: هي ليست بينة واضحة لكنها تجعل القاضي لديه غلبة ظن كبيرة يحكم بها بين الطرفين.

الحديث الرابع والثلاثون

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقولُ: (مَن رَأى مِنكُم مُنكَرًا فَليُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَستَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَستَطِعْ فَبِقَلبِه وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ)
رواه مسلم.

أصل عظيم في إصلاح الدين والدنيا

هذا الحديث أصل عظيم في إصلاح الدين والدنيا وأصل عظيم في القضاء على الفساد والظلم فإنه يدفع جميع الناس للقضاء على المنكرات ويجعل المجتمع إيجابيا ويحدد للإنسان متى يكون مقبولا عند الله.

فالحديث يخبرنا أنه لا يكفي ألا تفعل المنكر ولا يكفي أن تكون صالحًا في نفسك ولكن حتى تكتمل هدايتك ويكتمل صلاحك يجب أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر

فتحثه الشريعة أن يغير من حوله:-

اعتبر الله تعالى هذه العبادة سبب خيرية الأمة.
واعتبر الله سبحانه وتعالى التقصير في هذه العبادة سببا للضياع والفساد.

حكم إنكار المنكر

إنكار المنكر فرض عين أم فرض كفاية:-

• هو فرض كفاية إذا قام به البعض فزال المنكر المحرم سقط الإثم عن الباقين.
• فإذا لم يقم العدد الذي يكفي لإزالة الإثم المحرم يأثم كل قادر بحسب قدرته وعلمه واستطاعته.

شروط التغيير باليد

هناك مسائل بديهية لا نستطيع التغيير باليد فيها لكن هناك مساحة تستطيع أن تغير باليد فيها.

وهناك منكر إذا تدخلت لتغيره بيدك سيحدث مفسدة أكبر من التي تريد إزالتها وهذا عجز عن إزالة المنكر.

مثل المنكرات التي داخل المنزل تستطيع أن تغيرها بيدك.

العجز عند العلماء ينقسم إلى نوعين:-

1- عجز حسي: وهو عجز في الجسد بإصابة في يد أو قدم فلا يستطيع الحركة.

2- عجز معنوي: هو أنه قادر على تغيير المنكر كقدرة ولكن يتوقع مفاسد ضخمة بسبب هذا التغيير أو يتوقع مفسدة أكبر من المفسدة التي تم تغييرها.

ينبغي لكل العاملين في المجال الإسلامي أن يفهموا هذه القواعد لأن مخالفتها وعدم فهمها أدى لضرر العمل الإسلامي بشكل رهيب على مدار السنوات الماضية, فهي يترتب عليها إما تقدم العمل الإسلامي بشكل كبير أو تأخره لعشرات السنين.

حد العجز

يكون الإنسان غير قادر على التغيير باليد إذا كان يتوقع أن يكون الضرر كبير.

السب أو أن يَسخر منه فهذا طبيعي, فالأنبياء حدث لهم هذا أو أن يضربه ضربة خفيفة أو يقال له «أنت مالك» أو إيذاء خفيف فكل هذا لا بأس به ولا اعتبار به.

أما الضرر الكبير مثل أن يُقتل أو يُحبس أو يُدخل عليه الضيق أو يُهان إهانة شديدة جدًا تسقط مروءته أمام الناس وأهله وجيرانه بعد ذلك.

وهنا ينتقل إلى التغيير باللسان فإذا توقع نفس الضرر بالتغيير باللسان هنا يكون عاجز أيضًا عن التغيير باللسان فينتقل للإنكار بالقلب.

أولويات الإنكار

إذا كان أمامك الكثير من المنكرات ولا تستطيع أن تنكرها جميعها فيجب أن تبدأ بالأولى فالأولى.

المنكر هو ما اعتبره الشرع منكرًا

المنكر هو ما اعتبره الشرع منكرًا حتى وإن كان عند الناس ليس بمنكر. فهناك الكثير من المنكرات من كثرة انتشارها ألفها الناس لدرجة أنها لم تعد منكرًا.

أمثلة:-

• ربا البنوك والفوائد البنكية.
• الأفراح التي بها اختلاط وموسيقى.

فحتى إذا تغيرت المفاهيم في المجتمع يظل المنكر منكرًا والمعروف معروفًا.

شروط إنكار المنكر

يقول العلماء هناك شروط لإنكار المنكر منها:-

1- العلم بأن هذا منكر:- فمن الممكن أن ينكر الإنسان شيئا لمجرد أنه ليس معتاد عليه ولكنه ليس منكرا في الأصل.
2- العلم بأن الفاعل قد فعل منكرا بالفعل, فيجب أن تتأكد أنه متعمد ولا عذر له فإذا تأكدت تنكر عليه فلا تتسرع قبل أن تنكر.
3- ألا تكون المسألة من مسائل الخلاف السائغ.
4- ألا يترتب على إنكار المنكر منكر أكبر من المنكر الأصلي.

شيخ الإسلام ابن تيمية كان يرى بعض التتار الذين يشربون الخمر فلم ينكر عليهم، فقال له رجل لماذا لا تنكر عليهم، فقال هؤلاء إذا أفاقوا قتلوا المسلمين.

فيجب على الإنسان أن يوازن بين المصالح والمفاسد فإذا كان المنكر أهون من منكر آخر من الممكن أن يحدث إذا أنكرت إذًا أسكت عن هذا المنكر لأنه هو المفسدة الأقل.

مراتب تغيير المنكر عند ابن القيم

في كتاب إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم رحمه لله قال فيه إنكار المنكر أربع درجات:-

1- أن يزول المنكر ويخلفه الضد «أي: يأتي المعروف», وهنا يجب الإنكار.
2- يقل المنكر لكن لا يزول بالكلية, وهنا يجب الإنكار.
3- أن يزول المنكر ويأتي منكر مثله, هذه مسألة اجتهادية.
4- أن يزول المنكر ويأتي ما هو شر منه, هنا لا يجوز الإنكار.

الإنكار بالقلب لا عذر فيه

فهو لا يستطيع أحد أن يمنعك منه فيجب على الإنسان أن ينكر بقلبه دائمًا.

يجب أن يحذر الإنسان أن ينسى الإنكار بالقلب وخاصةً مع كثرة المنكرات وإلفها, لذلك يجب أن يعمل الإنسان صيانة لقلبه بشكل مستمر ويبتعد عن المنكرات لفترة لِكَي تظل حساسية القلب موجودة, مثل: (اعتكاف ـ عمرة ـ خلوة مع نفسك كل يوم).

بحيث تجدد العهد مع قلبك, فليس معنى أن المنكر موجود دائمًا إذًا اتصالح معه!!! لذلك يجب دائمًا أن تتعرض للمواعظ وتصاحب الصالحين لِكَي يظل هناك دائمًا حرارة في القلب تجاه المنكرات.

تابع الحديث الرابع والثلاثون

أصل عظيم في إصلاح الدين والدنيا

منها ألا يتجاوز الإنسان الإنكار باللسان ولا يزيد على الوعظ الخفيف اللطيف.

مع غير الوالدين يتدرج الإنسان يبدأ بالوعظ الخفيف ثم يتدرج فيتغلظ أحيانًا في الكلام والتشديد ثم محاولة التغيير باليد.

أما مع الوالدين لا يجوز معهم أكثر من البيان إذا كانوا جاهلين فيعلمهم بكل رفق ثم لو كانوا على علم فالإنكار بالكلام اللطيف ولا تزد على ذلك أبدًا.

حكم التواجد في مكان به منكر

إذا كنت في مكان به منكر ونصحت وحاولت تغيير المنكر ولا يزول فيجب أن تزول أنت ولا تبقى في مكان به منكر.

فوجودك وجلوسك يدل على رضا القلب, فمن علامات إنكار القلب عدم استطاعتك الجلوس, فكيف تجلس وأنت تزعم أن قلبك به إنكار؟

لن تكون صالحًا عند الله حتى تكون مُصلحًا

• فلا يكفي أن تكون صالحًا في نفسك فقط يجب أن تكون مصلحًا لِكَي تكون صالحًا عند الله.
• الله ذم بني اسرائيل أنهم لم يتناهوا عن منكر فعلوه.

فيجب أن نكون إيجابيين ولدينا حكمة في تغير المنكرات وحكمة مع الوالدين وحكمة في مراعاة المفاسد والمصالح ولكن تكون إيجابيا وتعمل بالحديث والأهم أن تقبل النصيحة إذا أنكر عليك أحد وتخشع لأمر الله تعالى.